



إن من عظمة الثورة السورية وهول أحداثها وتأثيرها على العالمين العربي والإسلامي ما يبهر الأنصار، ويقف المؤمن حبران لا يدرى ما يقول يبحث في تاريخه عله يجد ما يشفي غليله، ويسكن حريرة قلبه، ويقوى إيمانه بربه أولاً وبوعده له بالنصر تالياً، وبالتسليم لقضائه وحكمته ثالثاً.

لهذا وجب علينا التفكير والتذكرة والأخذ بالعبر واستجلاب اليقين من أحاديث نبوية وأقوال مأثورة عن أشخاص ثقات، نتعلم منهم ونستلهم من عبراتهم حكم الغد، فقد ورد في ذلك الكثير وأقتبس لكم بعض ما تعلمنه من هذه الثورة: فقد حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ يَعْيَشَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَاللَّفْظُ لِعَبْدِ، قَالَا: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ بْنِ سُلَيْمَانَ مَوْلَى خَالِدٍ بْنِ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا زُهْيرٌ، عَنْ سُهْيَلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنَعَتِ الْعِرَاقُ دِرْهَمَهَا وَقَفَيْرَهَا، وَمَنَعَتِ الشَّامُ مُدِيَّهَا وَدِينَارَهَا، وَمَنَعَتِ مِصْرُ إِرْدِبَهَا وَدِينَارَهَا وَعُدُّتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وَعُدُّتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، شَهَدَ عَلَى ذَلِكَ لَحْمُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَدَمُهُ". (حديث مرفوع)، صحيح مسلم 5161، سنن أبي داود 2643، مسند أحمد بن حنبل 7384

أيضاً ورد عن ابن كثير (700 - 772هـ): في كتاب البداية والنهاية: في أحداث سنة 717هـ: أن النصيري هجموا على مدينة جبلة، وقتلوا خلقاً من أهلها، وخرابوا المساجد واتخذوها خمارات، وكانوا يقولون لمن أسروه: قل: لا إله إلا على، واسجد لإلهك المهدى.

وصاح أهلها: و إسلاماً، وجعلوا يتضرعون إلى الله، حتى جردت إليهم العساكر، فهزموه، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وجمعوا غفيراً، وقتل المهدى الذي أضلهم في ذلك الزمان [البداية والنهاية]

أيضاً ورد عن عبد الرحمن الكواكبي (1849 - 1902م): "فناء دولة الاستبداد لا يصيب المستبدین وحدهم بل يشمل الدمار الأرض والناس والديار لأن دولة الاستبداد في مراحلها الأخيرة تضرب ضرب عشواء كثور هائج أو مثل فيل ثائر في مصنع فخار وتحطم نفسها وأهلها وبلدها قبل أن تستسلم للزوال، وكأنما يستحق على الناس أن يدفعوا في النهاية ثمن سكوتهم الطويل على الظلم وقبولهم القهر والذل والاستعباد، وعدم تأملهم في معنى الآية التالية: {وَأَنَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَّمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (25) سورة الأنفال {عبد الرحمن الكواكبي - من كتاب: «طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد»}

الشيخ إبراهيم اليعقوبي (1925 - 1986م) وهو أحد أكابر الأولياء في زمانه يحذرنا من الانخداع بهذا النظام، ويقول: سيأتي

يُؤْنَصَبُ فِيهِ هُؤْلَاءِ النَّصِيرِيَّةِ الْمَدَافِعُ عَلَى جَبَلِ قَاسِيُّونَ لِدُكَ الشَّامِ. وَهَا قَدْ رَأَيْنَا هَذَا يَحْدُثُ" (الشِّيخُ مُحَمَّدُ أَبُو الْهَدِيِّ الْيَعْقُوبِيُّ).

الغاية من إبراد هذه الأحاديث والنباءات هي لمقابلة ما يشاع عن نباءات كاذبة تصدر هنا وهناك، ومن ثم ليزداد علمنا بحقيقة أمرنا لاتخاذ الأسباب الموجبة لإزالة هذا الظلم وتغيير الواقع الذي نعيش، ولنعلم أن هؤلاء لا يسقطون بمجرد الاستسلام للنباءات الكاذبة، بل لابد من حق يقابل باطل ويقارعه حتى يسقط بإذن الله تعالى، قال تعالى: {بَلْ تَنْفَذُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوِلْيٌ مِمَّا تَصِفُونَ} [الأنبياء: 18] وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فَإِذَا رَأَيْتُمْ أَمْتَيَّ لَا تَقُولُ لِظَّالِمٍ أَنْتَ ظَالِمٌ، فَقَدْ تُؤْدِعَ مِنْهُمْ" شعب الإيمان (47/10) صحيح (7140)

قال أححمد (البيهقي): "وَالْمَعْنَى فِي هَذَا: أَنَّهُمْ إِذَا حَافُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ فَتَرَكُوهُ كَانُوا مِمَّا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ، وَأَعْظَمُ مِنَ الْقَوْلِ، وَالْعَمَلِ أَخْوَفَ، وَكَانُوا إِلَى أَنْ يُدْعُوا جِهَادَ الْمُشْرِكِينَ خَوْفًا عَلَى أَنفُسِهِمْ، وَأَمْوَالِهِمْ أَفْرَبَ، وَإِذَا صَارُوا كَذِلِكَ فَقَدْ تُؤْدِعَ مِنْهُمْ، وَاسْتَوْى ُجُودُهُمْ وَعَدَمُهُمْ" ".

هذه هي السنة المقررة، فالحق أصيل في طبيعة الكون، عميق في تكوين الوجود. والباطل منفي عن خلقة هذا الكون أصلا، طارئ لا أصالة فيه، ولا سلطان له، يطارده الله، ويقذف عليه بالحق فيدمغه.

ولابد من قانون التدافع كذلك بين الحق والباطل وبين الخير والشر، قال تعالى: {وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ نَوْ فَضَلٌ عَلَى الْعَالَمِينَ} [البقرة: 251]

ونحن موقنون بزوال هذا الطاغية الصنم وكل طاغية في الأرض، قال تعالى: {وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا قَالَ يَا قَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} (36) فَكَبُوْهُ فَأَخْذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (37) وَعَادُوا وَثُمُودٌ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَرَبَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (38) وَفَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبُيُّنَاتِ فَاسْتَكْبِرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (39) فَكُلَّا أَخْذَنَا بِذِنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخْذَنَهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمُهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} (40) العنكبوت

وقال تعالى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ} [الروم: 60]

لكن لا بد أن يقرن العلم بالإيمان ويجليهما الصبر لأنه وسيلة المؤمنين في الطريق الطويل الشائك الذي قد يbedo أحيانا بالنهاية! والثقة بوعد الله الحق، والثبات بلا قلق ولا زعزعة ولا حيرة ولا شكوك.. الصبر والثقة والثبات على الرغم من اضطراب الآخرين، ومن تكذيبهم للحق وشكهم في وعد الله. ذلك أنهم محظيون عن العلم محرومون من أسباب اليقين. فاما المؤمنون الواصلون الممسكون بحبل الله فطريقهم هو طريق الصبر والثقة واليقين. مهما يطُل هذا الطريق، ومهما تتحجب نهايته وراء الضباب والغيوم! في ظلال القرآن للسيد قطب (9أكتوبر 1906 م - 29 أغسطس 1966 م) - ط1- ت- (ص: 3531).